إنجيل متى ١٩: ١-١٢

« من البدء »

تأليف: تومي ساوث

« ولما أكمل يسوع هذا الكلام، انتقل من الجليل إلى تخوم اليهودية من عبر الأردن. وتبعه جموع كثيرة فشفاهم.

وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم: أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى، وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً؟ إذاً ليس بعد اثنين، بل جسداً واحداً. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان! قالوا له: فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق؟ قال لهم: إن موسى، من أجل قساوة قلوبكم، أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني. والذي يتزوج بمطلقة، يزني ...» (متى ١٩: ١-١٢).

بينما يبين إنجيل يوحنا ان يسوع قام بزيارة أورشليم عدة مرات في حياته، إلا ان متى الرسول يسجل عن زيارة واحدة فقط – أي زيارته الأخيرة. يسجل متى ١٩: ١ و٢ خطوة هامة في زيارته الأخيرة، إذ ترك الجليل للمرة الأخيرة وعبر الأردن إلى برية أو « تخوم اليهودية من عبر الأردن ». كان وصوله إلى برية علامة لأعداءه لكي يعززوا خططهم لقتله، لأنه الآن في نطاق سلطة هيرودس أنتيباتريس، الذي أصدر أمراً قبل زمان قليل بقتل يوحنا المعمدان.

كانت الاستراتيجية هي ان « يجربوه » بطرح أسئلة خطيرة: « هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ » (متى ١٩: ٣). كان هذا السؤال الواخز هو سلاح ذو حدين. إذا أجاب بـ « نعم »، قد يقولون انه يسهل قانون الطلاق المعطى في الأصحاح ٢٤ من سفر التثنية، الذي يقلل من ممارسة الطلاق. وإذا أجاب بـ « لا »، يكون قد وضع حياته في خطر من هيرودس الذي قبض على يوحنا المعمدان بسبب إدانته الشديدة لزواج هيرودس غير الشرعي لزوجة أخيه (مرقس ٦: ١٤-١٨).

ولكن اخترق يسوع كل هذا التحليل الشرعي الذي أذهل الفريسيين، وجعلهم يدركون بان الطلاق لم يكن خطة الله « من البدء »، بل أراد الآب دائماً للناس أن يزوجوا ويبقوا متزوجين. كانوا يهتمون أكثر بما هو قليل الأهمية، إذ وجهوا اهتمامهم على معنى « لكل سبب » (أي على أي « أساس » يكون « شرعي »؟). لهذا صيغ يسوع ما هو مثالي، إذ قال: « فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان! » (متى ١٩: ٦). فسأل الفريسيون لماذا « أوصى » موسى ان يعطى كتاب الطلاق فيطلق امرأته. أجاب يسوع بان موسى لم « يوصي » بالطلاق، بل أذن به فقط « من أجل قساوة قلوبكم » (أي لأنهم كانوا غير مستجيبين لإرادة الله). السبب من التشريع الذي ورد في سفر التثنية ليس انه ينبغي على الرجال أن يطلقوا زوجاتهم، ولكن إذا فعلوا ذلك، يجب أن يعطيهن شهادة طلاق ولا يزوجوا النساء اللواتي طُلقن. وذكر لهم أيضاً بان الطلاق لم يكن خطة الله « من البدء » (١٩: ٨). ثم أضاف تعليم ربما بدى قاسيا لهم، معطياً موقف شرعي عن الموضوع كله: « وأقول لكم: إن من طلق امراته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى، يزني » (متى ١٩: ٩).

التحطيم الذي يجلبه الطلاق

أعترف بان هذا ليس من أشهر تعاليم يسوع. فاننا نفضل ان نقرأ التطويبات، والصلاة الربانية، أو كلام يسوع بانه الراعي الصالح. ولكن عندما نتجاهل تعاليمه عن الطلاق، كما هو الحال عادة، فهذا يقود إلى دمار.

تحطيم الناس

لا جدل في ان الطلاق يحطم الناس معنوياً. في سفر ملاخي ٢: ١٦، عبر الله عن غضبه على الطلاق و«الأذى» الذي يرافقه. هذا لا يعني بصفة خاصة الأذى الجسدي، بل يشمل أيضاً على الأذى العاطفي. لا ينبغي معاملة الناس وكأنهم نفاية. مستحيل ان «يُفرق» الوحدة التي بين شخصين جُعلا «جسداً واحداً» في الزواج دون تجريح الطرفَين.

الطلاق يحطم الناس أيضاً روحياً. حسب الآية ٩، الطلاق والزواج بدون سبب مقنع يقود إلى ارتكاب الزنا.

تحطيم الأُسَرْ

يوصف الطلاق بانه لا يقل عن «موت أسرة». أشار يسوع بان الأسرة خلقها الله نفسه وليس للإنسان ان يحطمها إذا ما شاء (متى ١٩: ٦). هذا لا يقيم بشيء ان ثلاث من الوصايا العشرة تحتوي على مباديء لحماية الأُسر.[١] ليس الخطر على أُسَرْ وحدها، بل على فكرة الأسرة بصفة عامة. عندما يزيد عدد الطلاق ويكون أكثر قبولاً، يقل الأهتمام بالأسرة أكثر فأكثر. نحن نتصرف كأنه لا يهمنا.

تحطيم الزواج نفسه

«الطلاق الارتجالي» يجعل الزواج بلا معنى. على كل حال، الزواج في جوهره هو تنظيم مقدس. تحذرنا الرسالة إلى العبرانيين ٤:١٣ وتحثنا: «ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد، والمضجع غير نجس. وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله». عندما يفرق الإنسان الزواج، فانه يمس شيئا مقدسا في نظر الله. كما قال جون ماري في كتابه بعنوان «الطلاق»: «الطلاق هو كسر الختم الذي نقشته يد الله». ان الموقف الحالي مختلف اختلافاً كبيراً. قبل بضع سنين، أعلنت ممثلة في تلفاز أمريكا عند نهاية الخمسة عشر عاماً لزواجها: «قد واجهنا أياماً عسيرة في زواجنا». ألا يمكن للزواج أن يمر بـ «أيام عسيرة»؟ ألا تعتقد بان والدينا وأجدادنا كانوا قد مروا بـ «أيام عسيرة» واستطاعوا ان يبقوا في زواجهم لمدة أربعين، وخمسين، وستين سنة؟ قد محى الطلاق السهل فكرة الصبر والتحمل من التفكير الحالي عن الزواج. اشتكت امرأة شابة مصممة على الطلاق للواعظ قائلة: «قد احتملت هذا لمدة تسعة شهور الآن!»

تبدو كلمات أغاني مايكل مارفي بعنوان «لأي شيء الأبدية» مناسباً كشكوى على رغبتنا في الطلاق:

أنظر إلى الناس،
وأرى كيف يتغيرون مع مرور الزمان.
وكل ما أراه مؤخرا هو أناس
يرمون المحبة ويفقدون صوابهم.

ربما أنا المصاب بالجنون،
ولكني لا أدري لماذا
يضر كل هؤلاء المحبين بعضهم البعض،
بينما يصعب وجود المحبة الصحيحة.

أرى أُناس جياع للمحبة
يبذلون جهدهم من أجل البقاء على الحياة،
بينما في أيدهم تموت الرومانسية،
ولا يحاولون أن يبقوها على قيد الحياة.

فما البهجة في الحياة؟
ألا يبقى أُناس معاً بعد؟
ولو كانت المحبة لا تدوم إلى الأبد،
فقل لي ما الذي يدوم إلى الأبد؟

النقطة الأساسية بالنسبة ليسوع

لسوء الحظ، لا تساعد الكنيسة في هذه

---

[١] «أكرم أباك وأمك ... لا تزن ... لا تشته امرأة قريبك» (خروج ٢٠:١٢ ، ١٤ ، ١٧).

الحالات كما ينبغي علها. قد شاركت في كثير من المناقشات عن الطلاق والزواج، ولكنها جميعها تركز على نقطة غير الصحيحة. مثل الكتبة والفريسيون، نحن مغرمين بالسؤال: «هل يحل؟» قد حولنا أكثر انتباهنا إلى الجزء الاستثنائي في الآية ٩ («إلا بسبب الزنا»). ما نريد أن نعرف عادة بغض النظر عن كلام يسوع ضد الطلاق هو: «متى يحسن؟ هل يوجد حالات استثنائية؟ هل يوجد مهرب؟»

النقطة التي أوضحها يسوع في متى ١٩: ٤-٦ هي المحافظة على الزواج. لا «يستحسن» أبداً تحطيم الزواج. قد يكون أمراً لا يمكن تجنبه، كما في حالة شريك أو شريكة الزواج غير المخلص أو غير المخلصة جنسياً، ولكن لا «يستحسن» أبداً. بغض النظر عن الدوافع، فان الطلاق دائماً يحطم. كما يخبرك به ضحية الطلاق. ليس السؤال الحقيقي هو: «هل يحل؟» بل: «أهذا جيّد؟» هل يساعد؟ تكون الإجابة «لا» من غير ريب. يجب على الكنيسة أن توجه انتباهها إلى المعيار الذي وضعه يسوع، للقصد من الزواج، عوضاً عن الانتباه إلى الاستثناء والمهرب. علينا أن نعلم الناس بان الذين يريدون أن يكونوا تلاميذ يسوع بجدية، لا يمكن أن يقبلوا ما هو أقل من المعيار الساري المفعول «من البدء».

هنا يوجد سؤال فني/شرعي: وهو السؤال عن تقوانا. تسند كلام يسوع فكرة التعهد، وحفظ النذر، وحفظ الوعد. يتجنب الناس اليوم قطع المعاهدات أو ينتهكونها بسهولة. نسمع عن رياضيين يوقعون على عقود بملايين الدولارات، ومن ثم ينقضوها عندما يعرض لهم عقد أفضل. لا يتوقع من أحد أن «يتحمل» الوضع السيء في ما بعد، ولا حتى لو قطع وعداً. أفعل ما تراه أفضل!

ولكن الله الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس هو صانع العهود وحافظها. الوعد وحفظ الوعد هما الطريقة التي بها يؤسس العلاقة مع الإنسان. عندما شاء الله ان يخلق شعباً لنفسه، صنع وعوداً لإبراهيم وحافظ عليها حتى عندما صار سلالته عديمي الإيمان وحقيرين. ان ناموس موسى هو عهداً، مجموعة وعود التي بها كانت إسرائيل ملزمة لإلهها. ونحن الذين نتبع يسوع اليوم ملزمين لله بـ«العهد الجديد» الذي صنعه بابنه الذي سفك دمه ليختم الوعد (عبرانيين ٩). نشبه بالله عندما نتعلم صنع الوعود وحفظها، وخاصة في العلاقة الزوجية. عندما نصنع وعداً لأن نكون زوج وزوجة، «إلا أن يفرق بيننا الموت» و«لما هو أفضل أو أسوأ» ونعيش حياة مستحقة لتلك الوعود، يكون هذا تقوى. عكساً لذلك، لا نتشبه بالله عندما ننقض عهودنا ووعودنا. ما وصفه يسوع في متى ١٩: ٩ ليس مهرباً وإنما هو إخفاقاً في حفظ وعد مقدس.

كان التلاميذ منذهلين بسبب كلام يسوع: «إذا كان هكذا أمر الرجل مع المرأة، فلا يوافق أن يتزوج» (متى ١٩: ١٠). في الآيتين ١١ و١٢ يجيب يسوع بـ«نعم!» انه من الأفضل ان تكون خصي لأجل الملكوت من أن تكون ناقض النذر!

الخلاصة

يمكن طرح آلاف الأسئلة عن تعاليم يسوع عن الزواج والطلاق. قد تبدأ معظمها بـ«وما لو ...؟» «ألا يوجد استثناء؟» «ألا توجد حالات سهلة؟» تجيب معظم هذه الأسئلة على ذاتها إذا تعهدنا بحفظ العهود.

> كان نيكولاي بسترتسوف رائداً في الجيش الروسي، يبلغ من العمر ٣٦ سنة، ويقيم في دولة أنغولا بعيداً عن وطنه. فجاءت زوجته لتزوره. في الرابع والعشرون من شهر أغسطس، ولكن دخلت وحدات من جيش جنوب افريقيا في هجوم على جماعة حرب العصابات الوطنية السود التي لجأت هناك. واشتبكوا في قرية نقيڤا بمجموعة من الجنود الروس. قتل منهم أربعة وفر ما تبقى من الجنود – ما عدا الرائد بسترتسوف. فقبض عليه كما نعلم لان اعلام جيش جنوب افريقيا قال: «رفض الرائد نيكولاي بسترتسوف ان يترك جسد زوجته التي قُتلت أثناء الهجوم على القرية».
>
> هذا وكأن الذين بجنوب افريقيا لم يصدقوا الخبر، لأن مصدر الاعلام قد كرر الخبر «بانه ذهب إلى حيث كانت جثة زوجته ولم يتركها، مع انها قد ماتت».

ما أغرب هذا! لماذا لم يهرب إلى مخبأه فيخلص؟ ما الذي جعله يرجع؟ هل من المحتمل انه كان يحبها؟ هل يحتمل انه كان يريد ان يحملها في ذراعيه للمرة الأخيرة؟ هل يحتمل انه كان يريد ان يبكي وينوح؟ هل يحتمل انه شعر بحماقة الحرب؟ هل يحتمل انه شعر بظلم النصيب؟ هل يحتمل انه كان يفكر عن أطفال مولودين كانوا أم غير مولودين؟ هل يحتمل انه لا يهتم بعد بما يحدث له؟

قد يكون ذلك. اننا لا نعلم. أو على الأقل لا نعلم يقيناً. يمكن ان نخمن. ولكن أفعاله تجيب.

هكذا يجلس وحده في سجن جنوب افريقيا. ليس «روسياً» ولا «شيوعياً» ولا «جندياً» ولا «عدو» ولا شيء من هذا القبيل، بل رجل كان يهتم بامرأة لوقت أكثر من أي شيء آخر.

أهنئك يا نيكولاي بسترتسوف، اينما تذهب واينما تكون، لكي يعطي لك معنى قوية للوعود المتساوية في كل مكان؛ لكي يكرم ذلك التعهد المتماثل في أية لغة – «{السراء والضراء} للأفضل والأسوأ، في أزمنة اليسر والعسر، في المرض وفي الصحة الجيدة، للحب والاكرام والاعتزاز حتى الموت، فساعني يا الله». احتفظت بالإيمان، احتفظت به بريقاً، احتفظت به لا معاً. باركك الله!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧